

المتصاعد في البداية وحدثها المتهاوي في النهاية من فرص التأمل ، وذلك ما ركده القصة بما بين طرفي هذا الخط الدرامي من صور ولقطات ، على أن القارئ العربي الراهن يعيش قضيته المصيرية التي تمر هذه الأعوام بمراحل دراماتيكية ، ولا يملك هذا القارئ أن يفصل بين تجارب أمته على مسرح السياسة وفي ميادين النضال ، وبين تجاربه الذاتية مع الأعمال الفنية ، ولا يد له أن يتخذ من هذه الأعمال نافذة تطل به على أحداث أمته ، لا سيما الأعمال الفنية التي أعدت بحكم بنائها ولقطاتها لتكون هذه النافذة .

ومن ثم فإن هذا القارئ سيرى في هذه القصة بلورة واعية شعورية لعمليات غير واعية وغير شعورية ترسبت في الوجدان الجمعي واستطاع القصاص أن يسكنها في هذه الرموز ، فقد عكست في صورة رمزية وجدان الجماعة في الأيام التي سبقت عدوان ١٩٦٧ ، والتي تلت هذا العدوان ، فقد سبقت العدوان ، أكبر عملية شحن وتعبئة ثم صاحبت العدوان أضخم عملية تفريغ وأصبحت الجماهير معها في حالة من الذهول يمكن تصويرها بكلمات القصاص في ختام قصته « أخرج الكثيرون علب السجائر أمسكوها في يد وفي اليد الأخرى عيدان ثقاب غير مشتعلة . . » وقد يحق للقارئ أن يرفع في وجه القصة اعتراضاً يقول ولكن الجماهير العربية لم تلبث أن أشعلت الثقاب ولقد رأينا التماعه في الأعمال البطولية داخل الأرض المحتلة ، وعلى بعض جبهات القتال ، غير أن مثل هذا الاعتراض يرفضه الواقع الفني داخل القصة والواقع التاريخي خارجها ، فإن المرحلة التي تبدأ بأشغال الثقاب ذات تميز واستقلال عن الحقة التي تمكسها هذه القصة ، وصحيح أن المرحلة الراهنة قد أفادت أعمق الفائدة من سابقتها ولكنها مع هذا - أو لهذا - تختلف عنها اختلافاً بيناً حتى ليحق لنا أن نسجل ميلاد إنسان عربي جديد في أعقاب نكسة ٦٧ ويترتب على هذا أن الصدق الفني والتاريخي معاً في تحديد وضع اشغال الثقاب فنياً وتاريخياً يقضي يجعله حدثاً متصاعداً في صراع جديد نرجو له أن ينتهي - كما تدل البوادر - بنهاية أخرى مشرفة .